أما ماتزيني القائد القومي الايطالي فيؤكد (« ان لكل امة السيادة «Signoria» على نفسها وعلى كل أرضها . ويتيح لها هذا الحق ان تقيم وتنظم وتختار لنفسها الحكومة الملائمة لحاجاتها ، كما يتيح لها هذا الحق الحرية في أن تتحول « من أمة الى دولة»)(١٤) .

وعاشت أوروبه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تصارع في اتجاهين : السيادة الشعبية من جهة والدولة القومية من جهة اخرى . ولقد توحدت رومانيا وايطاليا والمانيا ما بين ١٨٥٩ و١٨٧١ . كما قوضت الحركات القومية ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الامبراطوريتين « الالهيتين » : امبراطورية آل هابسبورغ وسلطنة بني عثمان . واخذت الصراعات الطبقية والتحررية تزداد اتساعا وعنفا في هذه المرحلة .

الا أن أوروبه ، التي شهدت كل هذه الصراعات القومية والتحررية ، كانت تتحول بعد وحدة اقطارها القومية ونهضتها العلمية والاقتصادية الى اداة غزو واستعمار . أوروبه الامبراطورية تعود الى المسرح العالمي في زي جديد ، وبقوى جديدة .

وهكذا نجد أن الثورة القومية البرجوازية طرحت مبادىء السيادة الشعبية والحقوق القومية ، ولكنها بالمقابل أوجدت سيطرة البرجوازية المستغلة في الداخل ، وسيطرتها على المستعمرات في الخارج . لقد طرحت افكارا «مثالية» ، ناضلت من اجلها الجماهير الشعبية ، وقدم العمال والفلاحون والبرجوازية الصغيرة تضحيات كبيرة من اجلها . ولكنها اقامت دولا تدوس هذه الافكار « المثالية » .

ولكن هذه الافكار ظلت تتفاعل في أوساط الجماهير ، ويناضل من أجلها المفكرون ، ويتغنى بها الشعراء . وكانت هذه الأفكار تنتقل الى المستعمرات حيث تتفاعل مع جماهير مسحوقة تتطلع الى مستقبل جديد زاهر ، فتقوم الانتفاضات والثورات .

٢ ــ الحقوق القومية في الماركسية ــ اللينينية

سنحاول هنا أن نلخص المفاهيم الاساسية للماركسية ــ اللينينية في هذه القضية . وسوف لا نخوض في التطبيق السوفياتي لحق تقرير المصير ، وان كنا سنعرض لمسألة حق تقرير المصير ، كما برزت في السياسة الخارجية السوفياتية .

وهناك ثلاث مراحل يجب التعرض لها :

الاولى : مرحلة ماركس وانجلز (١٨٤٨ ــ ١٨٩٨) :

لقد أيد ماركس وانجلز حق الشعوب المضطهدة في اقامة حكوماتها المستقلة . وكان تأييدهما واضحا وقويا لحقوق الشعبين الايطالي والايرلندي . كما أيد ماركس وانجلز الحقوق القومية لشعوب المستعمرات . وكان ماركس يرى « ان تحرر ايرلندا ليس ، بالنسبة للبروليتاريا ، مسألة عدالة مجردة او عاطفة انسانية ، ولكنه الشرط الاول لتحرر البروليتاريا الاجتماعي » .

واخضع ماركس وانجلز قضية الانفصال لـ : « ... المصالح الشاملة للنضال من أجل الديمقراطية ، وانتصار الثورة البروليتارية » ولذلك عارضا حركات « الشعوب الرجعية » مثل التشيك والسلاف الجنوبيين لان القيصرية كانت تستفيد من هذه الحركات لخدمة أغراضها .

ولم تحذ القيادات الانتهازية في الاممية الثانية حذو المعلمين الكبيرين ، بل ألقت على قضية تقرير المصير غشاوات النسيان . وقد اعتبر لينين ان قرار حق تقرير المصير الذي اتخذه مؤتمر الاممية الثانية في لندن غير مناسب : لانه لا يؤكد على الجوهر السياسي لمطلب حق تقرير المصير او مضمونه الطبقي ، وتبعيته لنضال البروليتاريا الثوري المباشر